«الإرهاب»

عن تأييدها لخطة أميركية عسكرية لغزو أفغانستان، وأن كلاً من طهران ونيودلهي تعهدتا تقديم المساعدة لعملية عسكرية محدودة ضدّ نظام «طالبان» إن لم تُفلح العقوبات الاقتصادية. وفي الفترة نفسها، أي قبيل اعتداءات 11/9، لوحظت تحركات دبلوماسية وورشات عمل متنقلة بين روسيا وإيران والهند. وقال مسؤولون هنود إن عمل طهران ونيودلهي سيقتصر على دور «تسيير وتسهيل» العملية، فيما تتولى القوات الأميركية والروسية المهمة القتالية بمساعدة طاجكستان وأوزبكستان بهدف دفع قوات «طالبان» على بعد 50 كيلومتراً عن مزار الشريف في شمال أفغانستان.

ليست الهند وإيران وروسيا وحدها التي أُطلعت على الخيار العسكري؛ فقد تحدث مسؤولون باكستانيون، بينهم وزير الخارجية السابق نياز نائك، عن خطة أميركية عسكرية تستهدف أسامة بن لادن و«طالبان»، وقالوا إنهم خبروا ذلك من طريق مسؤولين أميركيين، وعلموا أن الخطة ستنفذ في منتصف تشرين الأوّل. وأشاروا إلى أنّ الأميركيين يريدون تسليمهم بن لادن، وإن لم يحصل هذا، فإنهم يعتزمون شنّ هجوم عسكري بهدف إلقاء القبض أو قتل بن لادن وزعيم «طالبان» الملا عمر. أما الهدف الأوسع للعملية فهو إسقاط نظام «طالبان» وفرض حكومة انتقالية بقيادة «المعتدلين» الأفغان، على الأرجح برئاسة الملك الأفغاني السابق ظاهر شاه. وكانت تقضي الخطة بأن تنطلق العملية من طاجكستان، حيث يوجد مستشارون وعملاء أميركيون. وأكّد المسؤول الباكستاني في حينه أن هناك 17 ألف جندي روسي في حالة تأهب للمشاركة في العملية.

إذاً، الخطة كانت جاهزة، وموعد إطلاق صفارة البداية أيضاً، وصادف أن وقعت الهجمات على برجي التجارة العالميين بحسب التوقيت المرسوم، ليكون السبب المباشر للغزو. وحتى إن المسؤولين الباكستانيين شككوا في أن يتراجع الأميركيون عن خطتهم إن سُلم بن لادن فقط، فالهدف إسقاط النظام، وهو هدف ما كان بالإمكان تحقيقه ما لم يصب في مصلحة دول الجوار وتعاونها، وأولهما ايران والهند، إضافة إلى طاجكستان وأوزبكستان وروسيا. أما باكستان التائهة بين حليفين في حينها (طالبان وواشنطن) فأدت دور الحياد الإيجابي؛ إذ لم تمانع الغزو، لكنها لعبت على تناقضات الحرب كي تضمن أن وارث الحكم في كابول لن يُسقط نفوذها التاريخي.

من جهة ثانية، كان يفترض بالرئيس جورج بوش أن يوقع خطة غزو أفغانستان في 9/9، أي قبل يومين من 11/9، تاريخ الهجوم، لكنه لم يفعل ذلك. وبعد وقوع الواقعة، وجهت إدارة بوش تحذيراً إلى كابول بتسليم بن لادن أو مواجهة العواقب. رفض نظام «طالبان» تسليم بن لادن الذي يستضيفه منذ 1996، ولكنه قال إنه سيتولى محاكمته بنفسه إن قدمت الولايات المتحدة الأدلة التي تدينه. طبعاً، هذا لم يكن كافياً، وخرج الرئيس بوش في خطاب تاريخي ليتساءل: «لماذا يكرهوننا؟ يكرهون حريتنا». ويصنف العالم بين الأشرار والأخيار ويعلنها حرب «من ليس معنا فهو ضدّنا»، وحرباً صليبية، قبل أن يتراجع بعدما أثارت حلفاءه المسلمين عليه، زاعماً أنها زلّة لسان. وقعت الحرب وارتكبت القوات الأطلسية بقيادة أميركية جرائم بحق الإنسانية لا تُحصى في أفغانستان، وسقط المدنيون قتلى في قصف عشوائي.

رغم ما تقدّم، قد يكون من المبالغة في مكان القول إنّ الاعتداءات كانت مؤامرة بغرض غزو أفغانستان، فالخطة كانت جاهزة والولايات المتحدة، التي حصلت على مباركة الجميع، لم تكن بحاجة إلى مبرّر في ظل النظام الدولي الحالي الذي تربعت على عرشه من دون منازع بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. إضافة إلى احتمال قيام «القاعدة» فعلاً بمهاجمة الولايات المتحدة على أرضها كضربة استباقية لإدراكه بالخطة.

تهديد جدي

عززت السلطات في نيويورك الإجراءات الأمنية عبر نشر المزيد من عناصر الشرطة مدججين بالسلاح، وذلك بعد تحذير رسمي من تهديد جدي، لكنه غير مؤكد بالقنبلة قبل ثلاثة أيام على الذكرى السنوية العاشرة لاعتداءات 11 أيلول. وقالت وزارة الأمن القومي: «هناك تهديد محدد، جدي لكنه غير مؤكد». وأضافت: «لقد اتخذنا وسنواصل اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لمواجهة اي تهديدات جديدة». وقال مسؤولون فدراليون في واشنطن، رفضوا الكشف عن هوياتهم، إن هناك تهديداً إرهابياً محتملاً يشمل سيارات مفخخة يستهدف إما العاصمة واشنطن أو نيويورك. ولم يعط المسؤولون تفاصيل عدة، إلا أن مسؤولاً أميركياً أوضح أن «الأولوية هي التيقظ من» سيارات مفخخة.

(أ ف ب)

زادت هجمات 11 أيلول من الودّ بين إسرائيل وأميركا (أرشيف ــ أ ف ب)

«لحسن حظنا هذا لم يحصل. على العكس، العملية التفجيرية قرّبت إسرائيل للولايات المتحدة بكل ما يتعلق بالتعاون بأمور الإرهاب، ومنحت الرئيس بوش سبباً ليكون صديقاً مع شارون».

وبالفعل، حصل تقارب إسرائيلي استخباري أميركي. وقال محلل الشؤون الاستخبارية لصحيفة «هآرتس»، يوسي ميلمان، إنه بعد عملية الحادي عشر من أيلول، «تبنّت الولايات المتحدة أسس الحراسة الإسرائيلية التي تلاءمت مع حاجيّاتها». ولفت إلى أن الاعتراف بقدرة إسرائيل في هذا المجال أدّى «إلى تحسين العلاقات بين أجهزة الاستخبارات التابعة للبلدين»، مضيفاً أن هذا التقارب ظهر «في زيارة رئيس الـ«إف بي آي» روبيرت مولر لإسرائيل في عام 2003».

رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي، بنيامين نتنياهو، يتخذ الخط نفسه الذي اتبعه شارون في تصوير الحياة السياسية على أنّها محاور. ويصوّر «الهموم» الأمنية الإسرائيلية على أنّها قضية ضد «منظمات إسلامية» وليست قضية تاريخية سياسية قائمة على احتلال شعب. وليس صدفة، أنّه قال في أكثر من مناسبة إنّ حماس في قطاع غزة هي «فرع للقاعدة»، وهي مصطلحات أوجدتها الحال السياسية بعد الحادي عشر من أيلول، حيث يحاول نتنياهو صرف النظر عن القضية الجوهرية.

وبحسب مقال لعاموس هارئيل العام الماضي، فإنه على الرغم من وطأة قدم الجهاد العالمي في غزة، إلا أنه لا يزال بعيداً عن أن يمثّل تهديداً حقيقياً على إسرائيل.

وزير الجبهة الداخلية متان فيلنائي، الذي كان وزيراً في حكومة شارون عام 2001، استذكر في حديث لموقع «والا» الإسرائيلي تلك الأحداث وكأنها «حدثت بالأمس»، مشيراً إلى أن بوش الابن «أعلن قبل عقد الحرب على الإرهاب. ونحن في حرب لا هوادة فيها».

فلسطين: الضحية المكتومة

لم يكن الفلسطينيون بمنأى عن أحداث 11 أيلول الأميركية. ورغم غياب أي شبهة عن ارتباط فلسطين، مباشرة بالهجمات، إلا أنها كانت ممن دفعوا الثمن، ولا تزال

من مواجهة قرب إحدى مستوطنات الضفة الغربية المحتلة أمس (جعفر اشتيه ــ أ ف ب)

حسام كنفاني

كان الفلسطينيون في 11 أيلول 2001 يستعدون لإحياء الذكرى الأولى للانتفاضة الثانية، التي اندلعت في 28 أيلول 2000 إثر دخول رئيس حزب الليكود آنذاك، أرييل شارون، إلى المسجد الأقصى. كانت الانتفاضة في ذروتها، وأصداؤها تشغل الشارع العربي من محيطه إلى خليجه، غير أنها فجأة أصبحت على هامش الحدث بعدما تصدرت الشاشات مشاهد الطائرات وهي تصطدم في برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك.

غير أنّ البقاء على الهامش لم يدم طويلاً، بعدما سارعت إسرائيل إلى ركوب موجة «الحرب على الإرهاب» لتصوير الفلسطينيين ومقاومتهم بأنهم جزء لا يتجزأ من المنظومة التي يسير تنظيم «القاعدة» في ركبها، مستفيدة من العمليات الاستشهادية التي كان المقاومون الفلسطينيون ينفذونها ضد أهداف إسرائيلية خلال الانتفاضة وقبلها.

الولايات المتحدة لم تكن بحاجة إلى التحريض الإسرائيلي على

> **جورج بوش تبنى رؤية أرييل شارون باعتبار الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات «إرهابياً»**

الفلسطينيين، ولا سيما في ظل الإدارة الجمهورية برئاسة جورج بوش الابن واليمين المتصهين الذي كان يهيمن على السياسة في تلك الفترة. فإدارة جورج بوش سارعت، منذ اليوم الأول لتوليها الحكم، إلى سحب يدها من عملية التسوية، التي أولتها إدارة بيل كلينتون كل اهتمام طوال السنوات الثماني لحكمه. حجة الإدارة الجديدة كانت ترتيب ملفات البيت الداخلي، الذي دخلت أحداث أيلول في صلبه، ليتحول اهتمام الإدارة من الداخل إلى الخارج بنحو عمّ معظم دول العالم، ولا سيما الشرق الأوسط.

الفلسطينيون لم يكونوا بعيدين عن التحوّل بالسياسة الأميركية، وخصوصاً بعدما تبنى جورج بوش رؤية أرييل شارون، باعتبار الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات أنه «إرهابي»، رغم أن الأخير كان قد سارع إلى إعلان التضامن مع الأميركيين، والكثيرون لا يزالون يتذكرون صوره وهو يتبرع بالدم

لضحايا الهجوم في الولايات المتحدة.

لم تدخل الأراضي الفلسطينية مباشرة في صورة الحرب على الإرهاب، لكنها كانت ضحية مكتومة، وصورها جاءت في الخلفية وفق الذرائع نفسها التي شنّ خلالها الرئيس الأميركي الجمهوري حربه الأولى في أفغانستان، ومن ثم الثانية في العراق. لم يجهّز بوش جيوشه للدخول إلى الأراضي الفلسطيني، على اعتبار أن المهمة كان يقوم بها أرييل شارون على خير وجه. يكفي أنه صدّق على عزل أبو عمار وقطع أي اتصال معه، وهو ما لحقه به تباعاً الزعماء العرب الذين يدورون في الركب الأميركي، وتكفّل الجيش الإسرائيلي بالباقي.

لم ينتظر أرييل شارون طويلاً قبل أن يدخل في حربه الخاصة على «الإرهاب». ففي 29 آذار 2002، فجّر الاستشهادي عبد الباسط عودة، من «كتائب عز الدين القسام»، نفسه في وسط فندق بارك في نتانيا قرب تل أبيب، ليقتل 30 إسرائيلياً. العملية كانت الذريعة التي اتخذتها إسرائيل لشن عدوان «السور الواقي» على الضفة الغربية، ومحاصرة الزعيم الفلسطيني في مقر المقاطعة في رام الله. حصار لم ينته إلا بخروج أبو عمار مريضاً إلى فرنسا، حيث توفي بظروف غامضة، ما سمح بتغيرات بالسلطة ترضى عنها إدارة بوش، التي كانت قد رعت إضعاف موقع عرفات على حساب استحداث منصب رئيس وزراء تولاه في الفترة الأولى محمود عبّاس (أبو مازن) ثم أحمد قريع (أبو العلاء)، بعد الخلاف الذي استعر بين عرفات وعبّاس.

سياق أحداث غير مرتبط مباشرة بأحداث 11 أيلول، غير أنه استلهم من سياقاتها التالية، ولا سيما الحرب على الإرهاب، التي أدرجت المقاومة الفلسطينية، العسكرية والسياسية، تحت بندها، ولا تزال.